

تفسير السعدي

@ 318 @ التي أخبر الله أن يؤيد بها المؤمنين ، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان . فإذا أدل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات ، فليس ذلك إلا تفريطا من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه ، لما انهزمت لهم راية انهزاما مستقرا ولا أدل عليهم عدوهم أبدا . ! 2 2 ! لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين ، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون معيته فقال : ! 2 2 ! بامثال أمرهما واجتناب نهيهما . ! 2 2 ! أي : عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله ، وطاعة رسوله ، ! 2 2 ! ما يتلى عليكم من كتاب الله ، وأوامره ، ووصاياه ، ونصائحه ، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال . ! 2 2 ! أي : لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية ، التي لا حقيقة لها ، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله . فليس الإيمان بالتمني والتحلي ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال . ! 2 2 ! يقول تعالى : ! 2 2 ! من لم تفد فيهم الآيات والنذر ، وهم ! 2 2 ! عن استماع الحق ! 2 2 ! عن النطق به ، ! 2 2 ! ما ينفعهم ، ويؤثرونه على ما يضرهم . فهؤلاء شر عند الله ، من شرار الدواب ، لأن الله أعطاهم أسمعا وأبصارا وأفئدة ، ليستعملوها في طاعة الله ، فاستعملوها في معاصيه وعدموا بذلك الخير الكثير . فإنهم كانوا يصدون أن يكونوا من خيار البرية ، فأبوا هذا الطريق ، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية . والسمع الذي نفاه الله عنهم ، سمع المعنى المؤثر في القلب ، وأما سمع الحجة ، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم ، بما سمعوه من آياته ، وإنما لم يسمعهم السماع النافع ، لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته . ! 2 2 ! على الفرض والتقدير ! 2 2 ! عن الطاعة ! 2 2 ! لا التفات لهم إلى الحق ، بوجه من الوجوه . وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير ، إلا عمن لا خير فيه ، والذي لا يزكو لديه ، ولا يثمر عنده . وله الحمد تعالى والحكمة في هذا . ! 2 2 ! يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو : الاستجابة لله وللرسول ، أي : الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك ، والدعوة إليه ، والاجتناب لما نهى عنه ، والانكفاف عنه ، والنهي عنه . وقوله : ! 2 2 ! وصف ملازم ، لكل ما دعا الله ورسوله إليه ، وبيان لفائده وحكمته ، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ، ولزوم طاعته ، وطاعة رسوله ، على الدوام . ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال : ! 2 2 ! فإياكم أن تردوا أمر الله ، أول ما يأتيكم ، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك ، وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه ، يقلب القلوب حيث شاء ، ويصرفها أنى شاء . فليكثر العبد من قول : (

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب ، اصرف قلبي إلى طاعتك) . ! 2 2
! أي : تجمعون ليوم لا ريب فيه ، فيجازى المحسن بإحسانه ، والمسيء بعصيانه . ! 2 ! 2
بل تصيب فاعل الظلم وغيره ، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير ، فإن عقوبته ، تعم الفاعل
وغيره . وتتقى هذه الفتنة ، بالنهي عن المنكر ، وقمع أهل الشر والفساد ، وأن لا يمكنوا
من المعاصي والظلم مهما أمكن . ! 2 2 ! لمن تعرض لمساخطه ، وجانب رضاه . ^ (واذكروا
إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن